



جامعة كاي

جامعة أونلاين مرخصة من التعليم العالي

متخصصة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

<http://kie.university>

فساد العلم بفساد أهله وصحوة الأمة بصحوة أهله

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

لو سأل سائل: ما بال أمتكم تتخبط كالعرجاء، أليس فيها رجل رشيد؟
نقول: لقد ذمَّ الله الفساد جميعه، وإن أعظم الفساد فساد أهل العلم – ولا نقول العلماء – فمن الناس من يظن نفسه من العلماء وهو لا يصلح أن يكون طويلب علم، فعلمه لا يُجاوز أنفه، أو أنه شاب علمه بسلوك يعيبه، حتى لو حاز أعلى الشهادات العلمية، أو شغل المناصب العلاء، أو امتاز المجالس، أو أشير إليه بالبنان.
أما سمعتم خير الخلق صلى الله عليه وسلم ماذا يقول لطلبة العلم؟ إنه يقول لهم: لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تُمَاروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنارُ النَّارُ (الترغيب والترهيب)، وعلى ذلك فلو بقي الرجل عامياً – أي من عامة الناس – بعيداً عن العلم؛ لكان أسلم له من ولوج نار تلظى لا يصلها إلا الأَشقى.

أما أشكال فساد أهل العلم:

هناك من يظن أن العلم شهادة تعلق على الجدران.
وهناك من يظن أن لقب (د.) يحلُّ له مشاكله بين الناس.
وهناك من يعتقد أن لقب (بروف) يُنقذه من اتهامات ويرفعه عن مهاترات.
إن من اشترى الشهادة زرواً وبهتاناً، ومن ألصق باسمه لقباً لا يستحقه كأن يقال له (دكتور) وهو ليس بحاصل على الدكتوراه أو يقال له (بروف) وهو ليس بحاصل على درجة الأستاذية، فقد أوقع نفسه في مقت الله تعالى، لقول المولى عز وجل: **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾** (الصف)، فضلاً عن أن شهادة الزور ذنب من الكبائر.

لقد شهدتُ أساتذة من ذوي الأسماء الكبيرة يأخذ أبحاث طلابه في الدراسات العليا ليقدّمها كبحت محكم باسمه في مجلات محكمة، وهذا لا يليق بأستاذ؛ ولا يصح لهذا العمل إلا الوصف الوضيع.

وشهدتُ أساتذة تعطي طلابها في الدراسات العليا فصول كتاب أجنبي يُترجمونه كوظيفة مقابل علامات يأخذونها، ثم يقوم الأستاذ بجمعه وتحريره ليطبعه باسمه؛ وهذه سرقة لعمل الغير.

وقد رأيتُ من يدفع للناس ليكتبوا له كتاباً يضعه باسمه زوراً وبهتاناً.

وقد رأيتُ دكاترة في جامعات عريقة تُعطي من هم دونهم في السلم الوظيفي، ممن يحتاجون عملاً يتعيشون منه؛ ليكتبوا لهم فصولاً ثم يجمعونها ويحررونها لنشرها كتباً باسمهم، وهذا غير جائز لما فيه من دجلٍ واستغلالٍ.

ألا يخشى كل أولئك العذاب الأليم الذي وعدهم الله إياه؟ يقول المولى عز وجل: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ (آل عمران).

وشهدتُ أساتذة جامعات ممن يبيع أسئلة الامتحانات؟ وهذا غش وسوء أمانة. ألا يخشى أولئك على إيمانهم؟ يقول المولى عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ (الأنفال).

ككيف يليق بمن ترقى الدرجات العلمية العُلا أن يحطّ بنفسه من علٍ؟

وقد رأيتُ في بعض دول المغرب العربي كيف يتعالى كثير من الدكاترة على طلابهم، فتجد الطلاب تشعر بالعظمة إن رضي ذلك الدكتور أن يقف معه أولئك الطلبة أو بجانبه! . أما سمعوا قول الشاعر:

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ

إن تواضع العالم دليل على علو شأنه، فكلما ازداد علماً ازداد تواضعاً، يقول الفاروق عمر رضي الله عنه: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون منه، وليتواضع لكم من يتعلم منكم، ولا تكونوا جبابرة العلماء؛ فلا يقوم علمكم بجهلكم".

وقد رأيتُ في بعض الجامعات منافسات غير مرضية بين طبقة أهل العلم بدّل شيوع التراحم بينهم، وهذا من أسوأ ما رأيت.

وقد رأيتُ من بعض العلماء ممن تربع على هيئات شرعية يُمارس مخالفات لا تليق بمقامه، ومنهم من شرعن وخالف، ومنهم من مرر الفتاوى حفاظاً على منصبه، وقد نسي أنه يوقع عن الله تعالى.

وها هي بلاد المسلمين تقع في خلافات حادة جداً، ولا نجد لكثير من العلماء أي دور بل لا نسمع من بعضهم سوى السلبيات. أين علماء اليوم من العز بن عبد السلام، وأين هم من أحمد بن حنبل؟ فكلاهما أحيا الأمة بمواقفهما، وصحّت الأمة بما فعلا؛ بينما علماء اليوم أكثرهم دون أثر ودون نفع.

إن ذلك كله إنما من فساد أهل العلم.

أما عن أهمية العلماء وطلبة العلم:

إن لطالب العلم شأن كبير عند الله تعالى، روى صفوان بإسناد جيد قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر؛ فقلت له: يا رسول الله، إنني جئت أطلب العلم؛ فقال مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفة الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب.

فإذا كان كل هذا لطالب العلم، فما هو حال العالم عند الله؟

روى أبا ذر رضي الله عنه بإسناد حسن قال: يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً: لباب يتعلمه الرجل أحب إلى الله من ألف ركعة تطوعاً، وقالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد.

فشتان شتان بين اتخذ العلم مهنة وضيعة كغيرها من المهن وبين من أخذه بحظ وافر فأعطاه حقه وارتفع به ونفع الناس.

يروى عن الخليفة هارون الرشيد قصة معبرة؛ فقد وجه هارون الرشيد دعوة للإمام مالك بن أنس رحمه الله؛ ليحدثه في قصره، فقال الإمام: يا أمير المؤمنين؛ إن العلم يؤتى ولا يأتي. فأتاه هارون الرشيد إلى منزله، فاستند معه على الجدار، فقال الإمام: يا أمير المؤمنين؛ إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم. فقام هارون الرشيد وجلس بين يدي الإمام مالك. وبعد مدة قال الخليفة: يا أبا عبد الله؛ تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به.

وبما أن العلم هو نتاج أهل العلم، فإن معيار الصحة هو أن يكتب لعلمهم القبول ليمكث في الأرض فينفع الناس، فالزبد يذهب جفاء؛ فهذا هو إرث كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد منتشر في كل أصقاع أرض الإسلام درساً وحفظاً ودراسةً وتطبيقاً منذ مئات السنين وسيبقى إلى أن يشاء الله.

روي عن علي رضي الله عنه أنه ذكر فتناً تكون في آخر الزمان فقال له عمر متى ذلك يا علي قال إذا تَفَقَّهَ لغير الدين وتُعَلِّمَ العلم لغير العمل والتُمِسَتِ الدنيا بعمل الآخرة (الترغيب والترهيب)، إذا ما نحن فيه مُحدث عنه، فها هم من يتفقهون لغير الدين، وها هم من يتعلمون العلم لغير العمل به، لقد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، ليتهم درجوا مسلكاً غير طريق العلم.

فكيف يُعالج فساد أهل العلم؟

إن الحل لهذه المعضلة يكون بحسن الهدي، وحسن الهدي يكون بتغيير الثقافة نحو الأفضل وتحسين المناهج الدراسية وتطويرها لتشمل آخر المبتكرات العلمية وأفضل النظريات التطبيقية، وتعليم طلاب العلم أصول النقد الأدبي والعلمي دون خوف بنشر الحريات؛ فبدون حرية لن يكون هناك طرح للأفكار. بينما يمنع انتشار الفساد العام ظهور الابداعات والمبدعين. روى ابن مسعود قال: إنكم في زمانٍ كثيرٌ فقهاؤه قليلٌ خطباؤه قليلٌ سؤاله كثيرٌ معطوه العمل فيه قائدٌ للهوى، وسيأتي من بعدكم زمانٌ قليلٌ فقهاؤه كثيرٌ خطباؤه كثيرٌ سؤاله قليلٌ معطوه الهوى فيه قائدٌ للعمل اعلموا أن حسن الهدي - في آخر الزمان - خيرٌ من بعض العمل. (حديث حسن).

كما يكون الحل بالنصح والإصلاح، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة سبيل الإصلاح ومانع للفساد، قال صلى الله: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَراً فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أضعفُ الإيمانِ (صحيح الترمذي).

لقد قامت عدة حضارات من حضارات اليوم إثر نهضة التعليم وإصلاحه تزامناً مع نشر الحريات ودعم المبادرات؛ كما فعلت سنغافورة، وهذا لا يعني انتهاء عصر الفاسدين؛ فمعرفة الإصلاح والتطوير مستمرة ما استمرت الحياة.

ولن يقوم اقتصاد على تعليم فاشل أو بطلبة علم فاسدين مفسدين.

حماة (حماها الله) بتاريخ ٦ محرم ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٦ سبتمبر أيلول ٢٠١٧ م